رســالة وجـواب (*)

أخي الأستاذ حسن التل حفظه الله ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ..

فلا أدري كيف أشكرك وأعبر لك عما في أنفسنا وأنفس من حولنا من الشباب المسلمين في هذه الــبلاد لــك ولقلمك الوفي القدير من الامتنان والشكر العميق ..

فأكتفي -وقد عجزت- بأن أسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجزيك عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .. كما أسأله عزَّ وجلَّ ألا يفجعك بزوج ولا ولد .. وأن يكتب لكم دائماً السلامة والسعادة والخير .

ولك مجدداً مني ومن أسرتي الشكر كل الشكر ، والتحية أخلص التحية .. والسلام عليكم ورحمة الله .

أخوكم
عصام العطار

عفوك أيها المعلم العظيم فقد أوجعتني كلماتك بل لطمتني على وجهي حتى أدمعت عيوني ..

فماذا يساوي الحبر بجانب الدم !! ؟؟

وماذا يساوي تنميق الكلمات بجانب هجرة الوطن ووحشة الغربة وقسوة الجهاد .. !

إنك يا أبا أيمن نموذج متميز بإرادتك الشامخة وأعصابك الفولاذية وإيمانك الذي استعلى على الإرهاب والإغــراء سواء ..

لقد ضربت بنفسك المثل وكنت القدوة بل كنت الشاهد والشهيد على أن المسلم وحده هو الذي اســتطاع في عصور الرقّ الفكري أن يرفض الاستخذاء ويتمرّد على الظلم ويكون أكبر من كل إغراء ، بل لقد استعليت يا عصام

على الخوف وبذلت في سبيل دينك من نفسك وأهلك ما بذلت حتى أصبحت النموذج لكل مسلم في الصبر علـــى الشدائد والصمود في وجه أعتى الشرور وأقسى التحديات ..

ومتى .. ؟ في زمن هانت فيه كل الكرامات واسترخصت به المثل وبيعت فيه الشعارات ..

فهذا وطنك الكبير من أقصاه إلى أقصاه يموج بالفساد ويغلي بالفتن وقد استحكم فيه الظلم وخيم عليه الظـــلام دون أن يكون ذلك واعزاً لحرّ لكي يرفض واقعه ويثور بصدق من أجل كرامة شعبه . لقد استنوقت كـــل الجمـــال ولولاك ولولا مدرستك لما كان لهذا الجيل أي بارقة أمل في بقعة بيضاء صغيرة تبدد عتمة هذا الليل الحالك .

كثيرون هم الذين حملوا الشعارات وكثيرون هم الذين تشدقوا وتفيهقوا وادّعوا ولكنك وحدك ومن معك عزمت على نفسك واخترت طريقك ورفضت هذا الواقع وقلت لا وتحملت كل تبعات الرفض .

أما الآخرون فقد تأوّلوا وهانوا وركنوا إلى الذين ظلموا رغم تحذير الله وتهديده لهم ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَـــى الَّـــذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ** ﴾ [هود : ١١٣]

لقد استجبت لأمر الله وخفت وعيده وطلبت نصرته فابشر يا أبا أيمن .. فإني أراهن على انتصارك رغـــم كـــل العقبات التي تعترض مسيرتك ورغم سقم جسمك فإن الله غالب على أمره وبالغ فيك بإذنه ما يريد لدعوته ..

إنّ الذين ركنوا إلى الذين ظلموا شاركوا مشاركة فعلية باستخذاء هذا الجيل وضياع كرامته وهوانه على نفـــسه وعلى الناس .

المسلمون وحدهم في كل أوطانهم خانعون أذلّة لأنهم فقدوا النموذج والقدوة فماذا يقول هذا الشباب الـــرافض لواقعه ، المتطلع إلى المجد عندما يجوب هذه الصحراء المجدبة على امتداد خارطة العالم العربي كله فلا يجد واحداً يتجرد لقضية عقيدته ووطنه ويستعد للفداء .. وأمامه نماذج كثيرة يتجسد فيها الفداء والعطاء الذي لا يعـــرف الحـــدود ، وهذه أخبار الإيرلندي الكاثوليكي بوبي مانرز وإخوانه الذين يتجرعون الموت ساعة بساعة طيلة ستين يوماً من أجل قضيتهم تصفع نخاسينا من تجار السياسة على أقفيتهم لأنه لم يبق لهم وجوه تصفع .

أما نحن فقد ضاعت فلسطين واستبيح الأقصى وسيمت شعوبنا بكل ألوان الهوان والخسف والظلم ، والمتاجرون بالوطنية في كل أوطاننا يتلفعون بالحرير ويرتعون بكل المباحات والمحرمات ويرقصون تحت كل الدفوف حـــتى فقـــد

(*) نشرت هذه الرسالة وجوابها في صحيفة (اللواء) الأسبوعية الأردنية يوم ٢٠/٠٥/١٩٨١م

الناس ثقتهم بكل شيء وضاعوا في التيه .

إنّ أية أمة على هذه الأرض ما زال فيها بقايا اعتزاز بشرفها الوطني وما زال فيها من يقضي فداء لهذا الشرف إلا نحن فقد أصبحت التضحية نوعاً من الجنون في أعراف تجار الوطنية العربية المعاصرة .

أذكر أنه حدث منذ سنوات حادث تسمم في الطعام على إحدى الطائرات اليابانية و لم يتمكن طاقم الطـــائرة أن يسعف المتسممين والطائرة في الجو فلم تستطع الطائرة الهبوط إلا بعد أن مات سبعون راكباً ، فمـــاذا فعـــل كـــبير المضيفين في الطائرة اليابانية ؟

لقد قدم نفسه ثمناً لخطئه فاستل خنجره وغمسه بقلبه على الطريقة اليابانية المشهورة فكانت النتيجة أن تـــضاعف الإقبال على الطيران الياباني لأن هذه العملية كرست احترام العالم كله للشرف الياباني الذي يفتدي بالـــدم ولـــيس بالشعارات كحال أمتنا .. ! ؟

أما نحن فمهمتنا تبرير الهزائم وتمجيد الذين يضربوننا على أقفيتنا والانحناء أمام جلادينا . كـــل شـــعوب الأرض استطاعت أن تصل إلى حقوقها مع حكامها إلا نحن فما زال الحكام الذين جاءت بهم الثورات الشعبية يُعبَدون مـــن دون الله رغم أنهم لم يحققوا لشعوبهم إلا مزيداً من الظلم و لم يحققوا لقومهم إلا مزيداً من الهزائم .

وهذا تاريخنا منذ أن بدأت الانقلابات في الوطن العربي حتى اليوم لم تصنع لنا الثورات إلا مزيداً مـــن الجـــرائم والضياع والانقسام .. ؟

فأي لعنة هذه التي صنعت بأمتنا هذا الصنيع حتى انتهت بها إلى كل هذا الهوان والضياع ..

يا عصام إنّك الفارس في جيل أكثر ساسته خصيان ، فأنت الفحل الذي قال للمنصب لا وقال لا للراحة وقال لا للمال .. وقال أهلاً بالتشرد ومرحباً بالموت في سبيل الله .

فأبشر يا أبا أيمن فقديماً وصى أحد عظمائنا جنده بقولته المشهورة (احرص على الموت توهب لك الحياة) ..

ليطاردوك حيثما كنت ولتغير كل يوم سكنك وليكن وجودك في ألمانيا مشكلة لقوى الأمن الألمانيـــة .. فأنـــت وحدك تمثل شرف أمتك الذي رفض الظلم وثار على الظالمين ، إنك أيها الفارس تدفع ثمن العظمة والـــذي يطلـــب العظمة لا يبالي بالثمن مهما كان باهظاً ، وقديماً قال شاعرنا (فمن يطلب الحسناء لم يغله المهر) ويا سخف ما يقول شعراؤنا اليوم .. !؟

وليعتموا على أخبارك وأخبار إخوانك .. !؟ إنهم عبثاً يحاولون وهل يستطيع سواد كل قلــوب الظلمــة وهــل يستطيع حقد كل الحاقدين أن يطفئ ومضة الضياء التي أضيئت بدماء بنان وإخوان بنان ، لقد علمتنا الحياة أن مشعل الحرية الذي يحترق بدم الشهداء لن تطفئه ظلمات الأرض كلها .

وهذه صفحات التاريخ تشهد على هذه الحقيقة فليقرأها من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولكن يبــدو أن القلوب قد استحكم سوادها وأن الآذان قد صمت فلا سمع ولا بصيرة .. والله بالغ أمره .. كتب الله أن ينتصر دينه على أيدي جنده وعبثاً تحاول أية قوة مهما كانت أن تقف أمام قضاء الله ..

لقد اختارك الله تعالى يا عصام لكي تحمل شعلة الإسلام في هذه الظلمة الحالكة فاصبر إنّ الله معك ولن يــضيرك شيء ..

فلا التعتيم الإعلامي ولا محاولات الاغتيال ولا عمليات القتل الجماعي ولا وسائل القمع والتعذيب بقــادرة أن تحول دون إرادة الله الذي كتب على نفسه نصرة من ينصره ﴿ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [غافر : ٥١] .

إنّ الطواغيت نسوا أن الموت ملاقيهم وأنهم سيمثلون حتماً أمام جلاديهم في الآخرة وصدق الله العظيم فقفــوهم إنهم مسؤولون ..

والعظمة هنا لا تفيد فالقلب الأسود والنفس الرديئة لا تنفع معها نصيحة ..

إنه الأمل فيك وفي إخوتك فامضوا بما أنتم عليه فإنكم بالغون ما عزمتم عليه لا محالة ، والله معكم .. وهيهــات هيهات أن يخذل الله جنده .

لقد بدأت الأرض تحترق تحت أقدامهم وغداً نصر الله قريب ومعذرة يا أخي مرة أخرى فماذا يــساوي الحــبر بجانب الدم وماذا يغني تنميق الكلمات بجانب الجهاد بالنفس والأهل .. ولكنها نفثات عسى أن يجعل منها الله شــيئاً آخر .

ولك تحية كل شريف وكل متألم وكل رافض وكل مفجوع أيها الفارس الذي رفض الظلم وآثر الهجرة والجهاد على الاستخذاء والهوان والركوع إلى الذين ظلموا .

(حســن التـــل)